‘Yandoto Academic Journal of Arabic Language and Literature
ISSN: 2714-4712 (Print & Open Access)
https://easpublisher.com/journal/yandoto/home

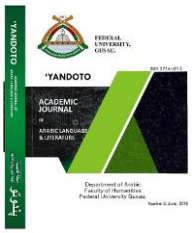

تعليق نقدي على كتاب "تحفة الإعراب" لمحمد الأول عبد السلام

بقلم/
الدّكتور قاسم إبراهيم
DR. KAZEEM IBRAHIM
PART–TIME LECTURER, CENTRE FOR DEGREE, KWARA STATE COLLEGE OF ARABIC AND ISLAMIC LEGAL STUDIES, P.M.B 1579, ILORIN, NIGERIA

المقدّمة:

بدأ العرب يمارسون قرض الشّعر التّعليمي منذ أمد بعيد، ولا شكّ أنّهم يمارسونه لحفظ العلوم وإعانة الذّاكرة على ضبطها لما يمتاز به من قصر العبارات مع سهولتها.

ولعلّ هذا مما أدّى بعض العلماء النّيجيريين إلى تقليد العرب حيث المتابعة إلى أن تطرقوا بهذا الفنّ للأغراض التّعليميّة فقط، وومن العلماء النيجيريين الشيخ محمد الأوّل عبد السّلام وضع كتابه الموسوم بـ"تحفة الإعراب" إسهامًا في النّحو العربي خاصّة، والذي يجدر بنا الاهتمام به في نقد بعض أفكاره الواردة في هذا الكتاب.

وهدف الباحث في هذه المقالة إبداء الرئية النقية في أفكار هذا الكتاب ومضموناته اعتبارا بأنه من الشعر التعليمي النيجيري، وتحتوي المقالة على العناصر التالية:

صاحب الكتاب في السطور:

نسبه ومولده: ولد محمد الأوّل عبد السّلام الملقب بصاحب القرآن، عام ١٩٨٧م.

نشاته: نشأ صاحب الكتاب في مدينة إلورن، وكانت من مدائن نيجيريا، التي أثبت جذور اللغة العربيّة أكثر من غيرها من مدن بلاد يوربا لقيام الدّولة الإسلاميّة فيها وكثرة الجهابذة المثقفين بالثقافة الإسلاميّة، والعلوم العربيّة الذين استوطنوا فيها ولا يستهان مجهوداتهم وأدوارهم التي قدموها في سبيل نشر اللّغة العربيّة والإسلاميّة في ربوع مدينة إلورن: منهم الشّيخ محمد السنسي عالم ربوة السّنة، والشّيخ محمد ينبو، والشّيخ موسى البرنوي الأبجي، والشّيخ أبوبكر بوبى المتوفى ١٢٧٠هـ[١]، والشّيخ أحمد أبوبكر إكوكوري (المتوفى ١٩٣٦)[٢]، والشّيخ اللبيب محمد بن عبد القادر بن صالح الملقب بتاج الأدب المتوفى ١٩٢٣م[٣]، والشّيخ صالح المعروف بعالم، غارس شجرة الدّولة الإسلاميّة في بلاد يوربا عمومًا ومدينة إلورن خصوصًا[٤]، وفي تلك المدينة ونشأ وترعرع في بيت إِتَأَجِيَا إحدى حارات المنطقة الغمبرية مدينة إلورن.

تعلمه وإنتاجاته: قرأ محمد الأول القرآن الكريم عند أبيه الشّيخ عبد السّلام، وتلقّى مبادئ العلوم العربيّة والإسلاميّة على يد الشّيخ حسن إِشَوْلاَ أَرِيْكَنُوْيَوَ، ثمّ سافر إلى ولاية كدونا، والتقى مع الشّيخ عبد الغني فتعلّم

عنده الكتب اللّغوية، ثمّ استفاد من الشّيخ حسن مرتضى السّوداني، وبعد رجوعه من كدونا أسس مدرسته الموسومة بـ"بدار القرآن للتعليم العربي والإسلامي"، بمدينة إلورن، وهو عضو من جماعة المؤمنين المعروف بـ"أصحاب العمائم"(٥)، الذين لا بأس بقلمهم في تطور اللّغة العربيّة وآدابها المعروفون بـ(منكدورو) في بلاد يوربا وبالأخصّ مصدرهم مدينة إلورن التي كانت رهن الإشارة للتفاعل العلمي، وهمزة الوصل بين جنوب نيجيريا وشمالها في الوعى الثقافي العربي والدّيني(٦).

ولمحمد الأوّل عبد السّلام إنتاجات أدبيّة ولغوية وإسلاميّة منها ما هو مطبوع، ومنها ما لا تزال مخطوطة ومن أشهر إنتاجاته العربيّة.

مغنم المدح في قصائد المدح.

هوية العبد في قصائد الزّهد.

ومعتريات الحياة.

ونقطة الانتفاع في غاية الارتفاع.

ردّ الرّفيق على كتاب الطّريق.

ديوان الخمسيات.

والمقامات الإلوريّة، الذي ألّفه محمد الأول عبد السّلام عام ٢٠٠٨م، وقد قام بهذا العمل ليكون حسب قوله: "اقتضاء بآثار السّلف"، الذين لهم قدوة حسنة للخلف، من مقامات تأرج مسكها وعوز مسلكها، حاكى في مقاماته الثّلاثين الأقدمين، وأسند حكايتها إلى جبريل بن خالد(٧).

تحفة الإعراب، والذي يهمنا بتعليق نقدي عليه صدر الكتاب عام ٢٠١٠م.

وصف الكتاب:

نعتبر كتاب "تحفة الإعراب" منظومة نحوية لصاحبها محمد الأوّل عبد السّلام **(صاحب القرآن)**، وكانت إحدى إنتاجات شباب مدينة إلورن الذين اهتمّوا اهتمامًا بالغًا في تطوير اللّغة العربيّة وآدابها بمدينة إلورن، وتبلغ أبيات تحفة الإعراب، إحدى وثمانين بيتًا في مسائل نحويّة عديدة، ولذلك نعده شعرًا تعليميًّا الذي تختفى فيه ذاتية الشّاعر، فلا تراه يعبر عن عواطفه وأحاسيسه، وإنّما غاية من نظمه معالجة قضايا علميّة بعيدة عن ذاتيته الشّاعر ويهدف هذا الشّعر إلى تعليم النّاس، لأنّ الشّعر هو الكتاب الأوّل لحفظ الأخبار والوقائع عند جميع الأمم قبل انتشار الكتابة سواء في ذلك اليونان والرّومان والفرس والهند والعرب والعجم(٨).

ولذلك اتّخذ العلماء كثير من الشعر التعليمي، ونظم يحيى ابن المعطى (المتوفى ٦٢٨هـ)[٩]، ألفيته في النحو، وابن مالك (المتوفى ٦٧٢هـ)[١٠]، في "**خلاصة في النحو**" ولاسيما السيوطي (المتوفى ٩١١هـ)[١١]، الذي عمل الأراجيز في الحديث والنّحو والبلاغة، ونظم ابن سيناء أرجوزة في علم الطّب، ومن ذلك قصيدة للشيخ عثمان ابن فودي "**مرآة الفرائض**" والتي تناول فيها عدّة أمور دينية من صوم، ونكاح وبيوع وميراث[١٢]، ولأخيه الشّيخ عبد الله بن فودي (المتوفى ١٢٤٥هـ)[١٣]، مؤلّفات عديدة في الشّعر التّعليمي مثل "**البحر المحيط في النّحو**"، و"**الحصن الرّصين في فنّ التّصريف**"، وكذلك "**أرجوزة غرائب القرآن**"، لوزير محمد بدا (المتوفّى ١٩٤٥م)[١٤].

و"**هبة المولى في بيان معنى لا في النّحو**"، للشيخ أحمد الرّفاعي بلو المعروف بِبَابَ اِكَوْارَىْ، (المتوفى ١٩٧١م) [١٥]، و"**أسرار البلاغة والفصاحة**" للشيخ آدم عبد الله الإلوري (المتوفى ١٩٩٢م)[١٦]، وأمثالهم.

وهكذا شق هؤلاء العلماء القدامى والمحدثون من العرب والنيجيريين أمام العلماء اللاحقين والمحدثين طريق القدامى والمحدثين، واقتفى أثرهم جم غفير من الشّيوخ والشّباب المتأخرين في نيجيريا، ومن بينهم محمّد الأوّل عبد السّلام، صاحب كتاب "**تحفة الإعراب**" الذي كنّا بدراسته.

مضمون الكتاب:

هذا الكتاب عبارة عن شعر منظوم ويبلغ أبياته أحد وثمانين بيتًا في مسائل نحويّة عديدة، وقد بدأ النّاظم من البيت ١-٧ بما يعتبر المدخل لهذا الشّعر التّعليمي حين أكمل الصّلاة والسّلام على النّبي المصطفى وآله وصحبه الأخيار وبعد هذه المقدّمة انتقل إلى البيتين ٨-٩ حينما يتكلّم عن الإعراب، أما الأبيات ١٠-١٨ ففيها جاء النّاظم بالكلام عن البناء وما يتعلّق به من المسائل النّحويّة وبعد هذا انتقل إلى الأبيات ١٩-٢١ حين دخل في صميم الضّمائر والحروف وجاء بالأمثلة: أنتَ، أنتِ أنتما، أنتم- هو- هما- نحن- هم.

وأما البيتان ٢٢-٢٣ ففيهما يتحدّث عن حروف الجرّ وأتى بمثالها هكذا: من- وعن- وربّ- وعلى- وكاف- ولام- والباء- وإلى-.

وأما الأبيات ٢٤-٢٧ ففيها تحدّث عن حروف النّواصب والجوازم. ومن هنا انصرف إلى موضوع "الكلام" حيث قسمه إلى اسمٍ وفعلٍ وحرفٍ، وكلّ ذلك في البيت ٢٨-٣٠، أمّا الأبيات ٣١-٣٣ ففيها جاء الناظم بتعريف الاسم، وفي الأبيات الثلاث ٣٣-٣٦ أتى بعلامة الفعل.

ثمّ خاض في الحديث بعلامات الحرف وكلّ ذلك في البيت ٣٥-٣٦.

ثمّ انتقل إلى موضوع الإعراب التقديري حيث قسمه إلى تعذر أو ثقل أو مناسبة، وكلّ ذلك في الأبيات ٣٧-٤٠، وفي البيتين ٤١-٤٢ جاء بتقسيم الفاعل إلى مضمر وظاهر وفي البيت ٤٣-٤٤ يتحدّث النّاظم عن المفعول به. ثمّ انتقل إلى قضية "**إنّ وأخواتها**" في البيت ٤٥-٤٦.

وفي البيت ٤٧-٤٨ جاء بالكلام عن "**أنّ وأخواتها**" وفي الأبيات ٤٩-٥١ أثبت المؤلّف في المعربات ضربان: أوّلها وثانيها يعرب بالحركات.

ثمّ أتى بالحديث عن موضوع "**المجهول**"وكلّ ذلك في البيت ٥٢-٥٣، وفي البيت ٥٤-٥٥ يتحدّث النّاظم عن "**المبتدأ والخبر**" وأثبت أن حكمهما لواحد، وأمّا البيت ٥٦-٥٧ ففيها يتكلّم عن "**كان وأخواتها**" ثمّ شرع في حروف العطف وهي: الواو- الفاء- ثمّ- أو- بل- أم، ويوضح أنّ منها ما يستعمل للترتيب والتعقيب وكلّ ذلك في البيت ٥٨-٦٠، وفي البيت ٦١-٦٢ يتحدّث عن "**حكم الحال**" ثمّ انتقل النّاظم إلى أنواع العطف وقسمها إلى "**عطف البيان وعطف النّسق**"، وكلّ ذلك في البيت ٦٣-٦٤.

وأمّا الأبيات ٦٥-٦٧ ففيها الكلام عن ظرف المكان وفي البيت ٦٨-٧٩، ذكر الناظم "**حروف الاستثناء**" وهي إلاّ- خلا- حاشا- غير- عدا.

ثمّ انتقل إلى ذكر ألفاظ التّوكيد المعنوي وهي: نفس- عين- كلّ- أجمع- أتبع، وكلّ ذلك في البيت ٧٠-٧١، وفي البيت ٧٢-٧٣ يتحدّث المؤلّف عن ظرف الزّمان، وهي: يوم- حين- غد- بكرة- غدوة.

ثمّ انتقل إلى تعريف "**التمييز**"، وأثبت أنّه يأتي بعد تمام الجملة ومفسرا للذوات وكلّ ذلك في الأبيات ٧٤-٧٦، ثمّ انتقل إلى حروف النّداء وهي: يا- هيا- أي- همزة، أيا، وأثبت النّاظم أنّ الياء رأس أحرف النّداء على حدّ تعبيره، وكلّ ذلك في البيت ٧٧-٧٨، ثمّ واصل نظمه في الأبيات ٧٩-٨١، وإلى هنا ختم الكتاب في العدد ولهذا انتهت موضوعات هذا الكتاب، ثمّ أتبعه أحد عشر بيتا ويدعو فيها للنّحويين القدامى والمحدثين.

تعليق نقدي على المسائل النّحوية الواردة في كتاب "تحفة الإعراب":

لا منازع أنّ قيمة الشّعر التّعليمي من حيث التثقيف والتّربية أمر لا يجحده أحد، فإنّه بمنزلة قرابة لتراث الأمّة والديني، واللغوي والعلمي وذلك عن طريق أداء المهمّات الآتية:

حفظ التّراث الثقافي في العربي الإسلامي من الاندثار بنظمه في مجموعة شعريّة لطيفة.

تسهيل تعليم ذلك التّراث لما يمتاز الشعر به من قصر العبارات مع سهولتها.

إعانة الذاكرة على حفظ العلوم والمعارف وتركيزها بموسيقاه، الغنائية وإيقاعه الممتع، لاسيما حين تعليم النّاشئين(١٧).

عرض المعلومات الصّحيحة والحقائق العلمية بغية تقريبها للفهم وسرعة إدراكها بالضّبط والحفظ.

إن كان الأمر كذلك، فما من عالم أو قارئ جيد كان حظّه من الذّوق النّحوي موفورًا، إلاّ أن يناله لنفسه أو قرأ كتاب "**تحفة الإعراب**" يجد أنّ صاحبه قد أساء هذه المهمات المذكورة ومن هذا المنطلق فإنّ كتاب "**تحفة الإعراب**" يحتاج إلى إعادة النظر لكثرة ما فيه من مجانبة الصواب، من ذلك قوله في باب الإعراب.

مبادئ الأعجم والإعراب ** في النّحو من معرفة الإعراب
وقد نراه عندنا كلازم ** على الذي يريده وعازم(١٨)

ففي هذين البيتين يتحدّث النّاظم عن الإعراب بيد أنّه لم يقنعنا شيئًا عن مفهوم الإعراب في النّحو العربي، ولا يخفى أنّ الإعراب: هو "تغيير أواخر الكلام لاختلاف العوامل الدّاخلة عليها لفظًا وتقديرًا"(١٩).

وأنواعه: أربعة: وهي: رفع ونصب وجرّ وجزم، والرّفع يشتركان في الاسم والفعل، مثل: "المعلّمُ، يضربُ، ولن يضربَ محمودًا"، والجرّ يختصّ بالاسم، مثل: "مررت بالمعلّمِ والتّلاميذِ"، والجزم يختصّ بالفعل نحو: "لم يكتبْ، ولم يقرأْ" وأمّا الحروف فلا يدخله شيء من الإعراب لأنّه مبني(٢٠).

وهذا الذي نتوقعه من منظومة محمد الأول كما هو ظاهر لدى شريف الدّين يحيى العمريطي (المتوفّى ٩٨٩هـ) في قوله:

إعرابهم تغيير آخر الكلم ** تقديرًا أو لفظًا لعامل علم
أقسامه أربعة فلتعتبر ** رفع ونصب وكذا جزم وجرّ
والكلّ غير الجزم في الأسما يقع ** وكلّها في الفعل والخفض امتنع
وسائر الأسماء حيث لا شبه ** قربها من الحروف معربة
وغير ذي الأسماء مبني خلا ** مضارع من كلّ نون قد خلا(٢١)

ومن مجانبة صواب صاحب "تحفة الإعراب" قوله في باب البناء:

وكلّ مرفوع من الأصول ** لم يك للعذر من الفضول
كالحمد أو أحمد أو ينفع ** فإنّها في الأصل ما يرفع
لكنّما المجرور والمنصوب ** عند النّحاة أنّه محسوب
كأن يقول أو يكن بالقول ** وحالنا لعامل من حول

وكلّ مجزوم على ضربين ** له دليل ميز بالبيت
كلم يكن من كان جاء أصلا ** لكن بلم سكونه قد حصلا
وإنّما المختار بالسّكون ** إليه قد يؤخذ بالركون
وضرب ثانيه بغير القذف ** قاعدة قد سميت بالحذف
في قول يقضى فتقول عفوًا ** لم يقض عمدًا وكذاك سهوًا[٢٢]

وإذا أمعنا النظر في هذه الأبيات يظهر لنا جليا أنّ صاحب الأبيات لا يعرف شيئًا عن قضيّة البناء في النّحو العربي ولو عرفه قد أساء الفهم في مسألة البناء بل يتحدّث ما شاء في هذه الأبيات ولم يفدنا شيئًا ونتعجّب حتى أتى بالأمثلة غير المناسبة كـ"الحمد أو أحمد، أو ينفع".

إذ المعلوم أنّ البناء هو: لزوم أخر الكلمة حالة واحدة لغير عامل ولا اعتلال، كلزوم "كَمْ" "مَنْ" السّكون، وكلزوم "هؤلاء" و "حذام" و"أمس"، الكسر وكلزوم "منذُ" و"حيثُ" الضّمّ، وكلزوم "أينَ" و"كيفَ"، الفتح[٢٣].

ومن هذا الإيضاح يظهر أنّ البناء أربعة: منها ما يبنى على –الضمّ والفتح والكسر والسّكون[٢٤]، وهذا ما أشار إليه أبو محمد القاسم بن علي الحريري (المتوفّى ٥١٦هـ)[٢٥]، في كتابه ملحة الإعراب في باب البناء، يقول:

ثم تعلّم أنّ في بعض الكلم ** ما هو مبني على وضع رسم
فسكّنوا من إذ بنوها وأجل ** ومذ ولكن ونعم وكم وهل
وضمّ في الغاية من قبل ومن ** بعد وأمّا بعد فافهم واسّتبن
وحيث ثمّ منذ ثمّ نحن ** وقطّ فاحفظها عذاك اللّحن
والفتح في أين وأيان وفي ** كيف وشتّان وربّ فاعرف
وأمس مبني على الكسر فإن ** صغر صار معربًا عند الفطن
وجير أي حقًّا وهؤلاء ** كأمس في الكسر في البناء[٢٦]

وإذا أمعنا هذه الأبيات التّعليمية المعروضة في معالجة قضية، يتبيّن أنّ صاحب كتاب تحفة الإعراب أساء الفهم في النّحو العربي، ومما يؤخذ على صاحب تحفة الإعراب، قوله في باب العدد.

لابد بالعدّ من المعدود ** تلقاهما يوضعه المحمود
يقول لي خمسة عشر كتبا ** فتسقط الهاء تحوز رتبا
أوّل ثلاث عشرة سلسلة ** يعني الإعراب ليس من فعله[٢٧]

هذه الأبيات لم تخل من التّكلف والرّكيك لأنّ النّاظم ما يفيدنا شيئًا عن قضية العدد وشروطه ترينا بوضوح خطأ الكاتب، بل تورط عليه الارتباك والحيرة ولذلك نجده يخطئ في قضية العدد الذي يريد أن يعلّم القارئ ألم تر الخطأ في قوله: "خمسةَ عشرَ كُتُبًا" و"ثلاثَ عشرةِ سلسلةٍ" لأن التّمييز يأتي منصوبا عند ألفاظ العدد من أحد عشر إلى تسع وتسعين ويكون مفردًا لا جمعًا، نحو قوله تعالى: "**إني رأيت أحد عشر كوكبًا**" (سورة يوسف، الآية:٤)، وكذلك يكون العدد المركّب من أحد عشر إلى تسعة عشر مبنيًا على الفتحة في الجزئين، وصاحب الناظم خالف القاعدة، فأعرب الجزئين في هذا العدد المركّب وذلك قوله:

تقول لي خمسة عشر كُتُبًا ** فتسقط الهاء تحوز رتبًا

أولى ثلاثُ عشرةٍ سلسلةٍ ** يعني الإعراب ليس من فعلله

والصّواب في هذين البيتين أن يقول النّاظم خمسة عشر كتابًا وثلاث عشرة سلسلةً.

ومنه قوله: في باب الحال:

فكان نصبه لدينا جائزًا ** لمن يعد في الإعراب فأئزا

يقول جاء أحمد مبشرًا ** أو المجاهد أتى مفسّرًا[٢٨]

فالنّاظم في هذين البيتين يعالج قضية الحال ويتحدّث عن مزاياه وخصائصه في النّحو العربي، ولو نظرنا إلى ما قال النّاظم في الأبيات المعروضة يظهر لمن له الذّوق النّحوي أنّ النّاظم لا يفهم الحال وحكمه ولو فهمه لما قال: "إنّ نصبه جائز"، فقال عنه: "فكان نصبه لدينا جائزًا"، والحال هو كما عرفه النّحويون هو الاسم المنصوب المفسّر لما انبهم من الهيئات[٢٩]، نحو: جاء محمد راكبًا، وركبت الفرس مسرعًا، ولقيت عبد الله راكبًا، ومنه قوله تعالى: "**خلق الإنسان ضعيفًا**" (سورة النّساء، آية:٢٨)، وقوله تعالى: "**إليه مرجعكم جميعًا**"، (سورة يوسف، آية:١٤).

وحكمه وجوب النصب عند علماء النّحو ما أشار إليه الحريري في قوله:

والحال والتّمييز منصوبان ** على اختلاف الوضع والمبانى

ثمّ كلا النّوعين جاء فضله ** منكرًا بعد تمام الجملة

لكنّ إذا نظرت في اسم الحال ** وجدته اشتق من الأفعال

ثمّ يرى عند اعتبار من عقل ** جواب كيف في سؤال من سأل

مثاله جاء الأمير راكبًا ** وقام قس في عكاظ خاطبًا

ومنه من ذا الفناء قاعد ** وبعته بدرهم فصاعدًا[٣٠]

وفي هذه الأبيات المعروضة تختلف عما قال محمّد الأوّل عبد السّلام في قضية الحال حيث لم يفدنا عن خصوصية الحال بل قال ما شاء ويلاحظ في هذه الأبيات أن الحال منصوب ويكون نكرة ومشتقّ من الأفعال ويجيء بعد تمام الجملة.

وهذا تدلّ على أنّ الحال وتعريفه وشرطه أكثر ما يتحدّث عن البيتين كما رأيناه في كتاب تحفة الإعراب.

ومنه قوله في باب المبتدأ والخبر:

وإنّما المبتدأ والخبر ** حكمهما لواحد لا الغير

ورفعه برفعه والنّصب ** بنصبه وليس فيه العجب(٣١)

نتعجّب في هذين البيتين حين أثبت النّاظم أنّ المبتدأ والخبر حكمها واحد بينما أنّ علماء النّحو قالوا: إنّ المبتدأ أن يكون معرفة، ويقع نكرة إذ دلّت على عموم، كما إذا سبقت بنفي، أو استفهام، أو دلّت على خصوص، إذا أضيفت لنكرة، أوصفة، أو تقدمها خبرها، وهو ظرف، أو جار ومجرور، نحو: "علي مهذّبٌ" و"الزّراعة عماد الثروة"، و"ما مجتهدٌ غائب" و"هل كريم يغيث الملهوف"، و"عندي كتاب، وفيك شمم"، وأمثالها(٣٢). **وأما الخبر**: فهو الاسم المرفوع المنكر المسند إليه وعلى ذلك أنّ النّاظم يعقد تعقيدًا فاحشا في أكثر أبياته الواردة في كتابه ودليل على ذلك قوله أيضا:

ورفعه برفعه والنّصب ** بنصبه وليس فيه العجب

وإذا تدبّرنا هذا البيت المعروض لا يفهم شيئًا بيد أنّ صاحب البيت يتحدّث عن المبتدأ والخبر وأما قوله: "ورفعه برفعه والنّصب، "بنصبه وليس فيه العجب": فنسأل النّاظم ماذا يريد أن يفيدنا في صدر البيت وعجزه؟ الله أعلم.

ومنه قوله في باب المجهول:

ما لم يسمّ معه فاعله ** ولم يكن باشره عامله

فإنّه يسمّى بالجهول ** وربّما يشبه بالمفعول(٣٣)

ويلاحظ في هذين البيتين، واعلم أنّ النّاظم لم يفهم ما يعنى علماء النّحويين والصّرفيين بالمجهول ونائب الفاعل أو ما لم يسمّ فاعله، وهناك الأفعال الملازمة للبناء للمجهول وهي نوعان:

الأوّل: أفعال لم ترد عند العرب مبنية للمعلوم وإنّما هي دائمًا مبنيّة للمجهول، وهذه الأفعال هي: "زُهِي، عُنِيَ، زُكِيَ، حُمَّ، جُنَّ، سُلَّ أو ارتُفع، فُلِح، أو ثُلِج فؤاده، غُمَّ الهلال، أو أُغمي عليه"، وأمثالها.

الثّاني: أفعال وردت عند العرب مبنيّة للمجهول أكثر من استعمال المبني للمعلوم، وهذه الأفعال منها: "هُزِل، نُكِب، وُعِك، شُلّت يده، دُهِش، أو شُغِف بكذا، طُلَّ دمه، أو أعرِي عابه، أُغرِم، بُهِت، وُلِع"[٣٤]، ومصداقه قوله تعالى: "**فَبُهِتَ الذي كفر**" (سورة البقرة، آية:٢٥٨)، وغيرها من الأفعال التي نظنّ أنّ النّاظم يريد أن يعالجها.

لمّا أطلق هذا الباب بباب المجهول، وبالرّغم أنّه يريد أن يدرس في هذين البيتين، نائب الفاعل، والصّحيح أن يطلق على هذا الباب ببابي نائب الفاعل، أو ما لم يسمّ فاعله.

بالإضافة على ذلك، أنّ النّاظم لم يفدنا شيئًا عن قضيّة نائب الفاعل أو ما لم يسمّ فاعله بل يتكلّم ما شاء ودليل عن ذلك قوله:

فإنّه يسمّى بالجهول ** وربّما يشبه بالمفعول

متى قرأ القارئ البيتين السابقين وله ذوق نحوي يتعجّب[٣٥]، عن النّاظم ويسأل نفسه والنّاظم، (ماذا يسمّى الجهول) وإذا نظرنا إلى بعض المنظومات التّعليمية التي قدّمها علماء النّحو القدامى والمحدثين نرى أنّهم سموا هذه القضيّة في كتبهم المتعددة بباب نائب الفاعل، أو بباب ما لم يسمّ فاعله، ودليل كما هو ظاهر لدى الحسن بن محمد العطار (المتوفّى ١١٩٠م، ١٣٥هـ)، في كتابه الموسوم بـ"منظومة العطار"، حيث يقول:

ويرفع بعد الفعل ما كان فاعلاً ** كجاء شقيق البدر يسم عن درّ

ونائبه يعطي جميع حقوقه ** كَتُطْرَدُ عذالي وتظفر بالنّصر[٣٦]

ومنه قول سعيد نبهان الحضرمي:

يرفع من كلّ الأسامى الفاعل ** ولو مؤوّلاً كقام العدل

ونائبه عنه كـ"بيع الذّهب" ** و"قُضِيَ الأمر" ويُعْطَي الأرب[٣٧]

ومنه قول الحريري في ملحة الإعراب:

واقض قضاء لا يرد قائله ** بالرّفع فيما لم يسمّ فاعله

من بعد ضمّ أوّل الأفعال ** كقولهم يكتب عهد الوالى

وإن يكن ثاني الثّلاثي ألف ** فاكسره حين تبتدي ولا تقف

تقول بيع الثوب والغلام ** وكيل زيت الشأم والطّعام[٣٨]

ومنه قول يحيى بن عبد المعطي (المتوفى ٦٢٨هـ)، فلنسمعه:

القول فيما لم يسم فاعله ** قد يحذف الفاعل لفظًا جاهله

أو عالم في حدفه له غرض ** إذ ذاك في المفعول رفع مفترض
وفعله يضمّ منه الأوّل **وكسر ما قبل الأخير يجعل(٣٩)

وإذا نظرنا إلى هذه الأبيات المعروضة في هذا الصّدد تدلّ دلالة واضحة أنّ هناك فروق كثيرة بين كتاب "**تحفة الإعراب**" وكتب تعليميّة التي قدمها النّحويون القدامى والمحدثون من حيث الاستيعاب والأصالة وأداء الرّسالة والغاية والهدف وضبط الحقائق العلمية التي نتمناها سهلاً للفهم والإدراك.

مهما يكن من أمر، فإنّ الكتاب يحتاج إلى التّنقيح والتّصحيح قبل أن يعيد النّاظم الطّبعة الثانية، والحقّ يقال إنّ جميع الأبيات تحتاج إلى التّعديل لئلا تحير الأفهام والعقول وعلى سبيل المثال قوله: في باب الضّمائر والحروف.

من ابتلى النّحو من السّرائر ** ذاك الذي يعيه بالضّمائر(٤٠)

ومنه قوله في باب الكلام:

فجملة مفيدة بالوضع ** هو الكلام عندنا في السّمع
مثل لقد أفادني المعلَّمِ ** وحلّ صيد صاده المعلَّم(٤١)

وفي هذين البيتين يظهر أنّ النّاظم لم يعرف كثيرًا من أحكام النحو العربي قبل أن يتدخّل في غوره فلنعد النّظر إلى قوله: "لقد أفادني المعلّم" بدلاً "المعلِّمُ" وما معنى حلّ صيدً صاده المعلّم؟.

ومنه قوله في باب الاستثناء:

ألا سواء وخلا ثم سوى ** حاش وغير وعدا ثم سوى
وكلّها ناصبة المستثنى ** لمن يريد جملاً بالمعنى(٤٢)

أو لم نر كيف قال النّاظم جازمًا مطمئنًّا أنّ حروف الاستثناء كلّها ناصبة، ويتّضح لنا أنّ الاستثناء يشتمل على ثلاثة أركان.

الأوّل المستثنى منه: وهو الاسم المذكور قبل "إلاّ" يعرب على حسب موقعه في الجملة.

الثّاني: أداة الاستثناء: وهي "إلاّ وغير وسوى، بلغاتها وخلا، وعدا، وحاشا".

والثّالث: المستثنى: وهو الاسم المذكور بعد أداة الاستثناء وله أحكام إعرابيّة مختلفة بحسب نوع الأداة منها: وجوب النّصب وجواز النّصب أو البدل كـ"إلاّ".

وحكم المستثنى بـ"غير وسوى" الجرّ دائمًا ويعرب مضاف إليه والمستثنى بخلا، وعداه وحاشا، يجوز نصبه وجرّه، نحو: "قام القوم خلا زيدًا وزيدٍ" "وعدا عمرًا وعمرٍ" و"حاشا بكرًا وبكرٍ"(٤٣).

إذن ولسنا مبالغين لو قلنا: إنّ قول محمد الأوّل عبد السلام في هذه القضيّة بعيد عن الصّراط السوى في رحاب النّحو العربي.

الخاتمة:

تناولت هذه الورقة المتواضعة جوانب ملحوظة في بعض أفكار محمد الأوّل عبد السّلام المسائل النحوية الواردة في كتابه الموسوم بـ"**تحفة الإعراب**"، وقد تبدو في نقد عبد السّلام للمسائل النّحوية المعروضة في ذلك الكتاب وكشفت كذلك عن بعض ما يؤخذ على الناظم من مجانبته للصواب في بعض المسائل التي تدلّ دلالة واضحة على أنّ الكتاب يحتاج إلى التّنقيح والتّصحيح والتّعديل قبل طبعة مرة ثانية.

الهوامش والمراجع:

١ – آدم عبد الله الألوري: **الإسلام في نيجيريا والشّيخ عثمان بن فودي الفلاني**، بدون ذكر مطبعة، الطّبعة الثالثة، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص:٦٩.

٢ – بدماصى ببتدى مصطفى: **تزويد قراء العربيّة بألوان في الأدب الشعبي اليورباوي**، مطبعة دار الأمّة لوكالة المطبوعات، كنو، نيجيريا، الطّبعة الأولى، ٢٠١١م، ص:٨٨.

٣ – عبد اللّطيف أحمد أديكليكن: **آثار الشّيخ اللّبيب تاج الأدب وكبار تلاميذه شعرًا ونثرًا**، حقوق الطّبع للمؤلف، الطّبعة الأولى، ١٣٩١هـ/١٩٧١م، ص:٣.

٤ – آدم عبد الله الإلوري: **نسيم الصّبا في أخبار الإسلام وعلماء بلاد يوربا**، مطبعة الآداب للنشر والتّوزيع، القاهرة، الطّبعة الثانية،١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص:٣٥.

٥ – عثمان إدريس الكنكاوي: "**الإنتاجات العربيّة لدى زمرة المؤمنين دراسة تحليليّة**"، بحث غير منشور قدّمه لنيل درجة الدّكتوراه، في جامعة إلورن، نيجيريا، ٢٠١٣م، ص:٢٧٧.

٦ – عثمان إدريس الكنكاوي: **تحفة الزّفاف**، مركز الموحدين الإسلامي للخدمات الإنسانية للنشر والتّوزيع، ولاية كوارا– نيجيريا، الطّبعة الأولى، ٢٠٠٧م، ص:١.

٧ – عيسى ألبى أبوبكر: **اللّغة العربيّة وآدابها في نيجيريا آفاق التّطور والازدهار**، The FAIS Journal of the Humanities Bayero University, Kana, Nigeria, Vol: 4, No.2, 2010, P:250.

٨ – آدم عبد الله الإلوري: **نظام التّعليم العربي وتأريخه في العالم الإسلامي**، دار العربيّة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت– لبنان، الطّبعة الثانية، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص:١١٣.

٩ – يحيى بن عبد الله المعطي: **الدّرة الألفيّة ألفيّة ابن معطي**، مطبعة دار الفضيلة للنشر والتّوزيع، القاهرة، ٢٠١٠م، ص:١١.

١٠ – شوقي ضيف: **المدارس النّحويّة**، مطبعة دار المعارف بالقاهرة، للنّشر والتّوزيع، الطّبعة أحد عشر، ٢٠٠٨م، ص:٣٠٩.

١١ – عبد الرّحمن السّيوطي: **همع الهوامع شرح جمع الجوامع في النحو**، مطبعة دار إحياء التّراث العربي، بيروت– لبنان– الطّبعة الثّانية، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١١م، ص:١.

١٢ – أبوبكر محمد عيسى: "**الشّعر التّعليمي لدى الوزير محمّد بدا من خلال أرجوزته غرائب القرآن**"، FAIS Journal of Humanities, Bayero University, Kano, Nigeria, Vol. 4, No.1 2010, P: 177.

١٣ – عيسى ألبي أبوبكر: **دراسات في شعر الجهاد لدى عبد الله بن فودي النّيجيري**، مطبعة النّهار للنّشر والتّوزيع بالقاهرة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م، ص:٤٤.

١٤ – عبد الرحيم حمزة إسين: **حماة الثقافة العربيّة والإسلاميّة من طغيان الثقافة الإنكليزية المسيحيّة في نيجيريا**، حقوق محفوظة للمؤلّف، ١٩٧٦م، ص:١٤.

١٥ – عبد الغني عبد السّلام وقاسم إبراهيم: "**مخطوطة تحفة اللّطيف الخبير في نظم خاتمة المصباح المنير لأحمد الرّفاعي بلو، دراسة صرفيّة موضوعيّة**"، SPRING BOARD Journal Al-Hikmah, Uniersity, Ilorin, Kwara State, Nigeria, No 1. Volume 7, 2015, P: 221.

١٦ – عبد الباقي شعيب أغاكا: **الأدب الإسلامي في ديوان الإلوري**، مركز المخطوطات العربيّة إلورن، للنشر والتّوزيع، الطّبعة الثّانية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ص:١٧.

١٧ – أبوبكر محمد عيسى: **الشّعر التّعليمي لدى الوزير محمّد بدا من خلال أرجوزته غرائب القرآن**، مرجع سبق ذكره، ص:١٧٤.

١٨ – محمّد الأوّل عبد السّلام: **تحفة الإعراب**، حقوق محفوظة للمؤلّف والنّشر، ٢٠١٠م، ص:٧.

١٩ – صلاح محمد محمد عريضة: **اللآليئ البهية شرح المقدّمة الأجروميّة**، مطبعة النّهار للطبع والنّشر والتّوزيع بالقاهرة، الطّبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م، ص:٢١١.

٢٠ – أبويكر تيام: **الرّسالة النّحويّة**، مطبعة المنار، تونس، بدون تأريخ، ص:١٤.

٢١ – شريف الدّين يحيى العمريطي: **نظم الآجرومية**، مطبعة دار الفكر، للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بدون تأريخ، ص:٣.

٢٢ – محمّد الأوّل عبد السّلام: مرجع سبق ذكره، ص:٩.

٢٣ – محمّد محيى الدّين عبد الحميد: **التّحفة السّنية بشرح المقدّمة الآجرومية**، مطبعة دار الطّلائع للنّشر والتّوزيع بالقاهرة، ٢٠٠٩م، ص:١٧.

٢٤ – عبد العزيز الشيمي: **تسهيل النّحو**، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطّبعة الثانية، ١٣٤٨هـ، ص:٢٦.

٢٥ – قاسم إبراهيم: **عرض تحليلي لكتاب "ملحة الإعراب"**، مجلّة الأصالة الدّوليّة، تصدر عن قسمي اللّغة العربيّة والدّراسات الإسلاميّة في كليّة العلوم الإنسانيّة، بجامعة الحكمة، إلورن نيجيريا، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، العدد الثالث، ص:٢٦.

٢٦ – أبو القاسم الحريري: **ملحة الإعراب**، المكتبة الشّعبيّة، بيروت –لبنان– للنّشر والتّوزيع، بدون تأريخ، ص:٤٦.

٢٧– محمّد الأوّل عبد السّلام: مرجع سبق ذكره، ص:٢٤.

٢٨– المرجع نفسه، ص:٢٩.

٢٩ – مالك بن منظر المهذري: **الممتع في شرح الأجروميّة**، مكتبة صفاء الأثرية للنّشر والتّوزيع، الطّبعة السّادسة، ١٤٣١هـ/ ص:١٥٦.

٣٠ – أبو القاسم الحريري: مرجع سبق ذكره، ص:٢٠.

٣١ – محمّد الأول عبد السّلام: مرجع سبق ذكره، ص:١٨.

٣٢ – علي الجارم ومصطفى أمين: **النحو الواضح**، مطبعة دار المعارف –لبنبان– بيروت، بدون تاريخ، ص: ٦١.

٣٣ – محمّد الأوّل عبد السّلام: مرجع سبق ذكره، ص:١٧.

٣٤ – رجب عبد الجواد إبراهيم، **أسس علم الصّرف**، مطبعة الآفاق العربيّة القاهرة، الطّبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص:٦٣.

٣٥ – محمّد الأوّل عبد السّلام: مرجع سبق ذكره، ص:١٧.

٣٦ – حسن بن محمّد العطار: **مجموع مهمات المتون**، مطبعة دار الفكر، بيروت –لبنان–، بدون تأريخ، ص:٤٩٤.

٣٧ – سعيد نبهان الحضرمي: **شرح نظم الدّرة اليتيمة في النّحو**، مطبعة دار الجوزي القاهرة، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص:٩.

٣٨ – أبو القاسم الحريري: مرجع سبق ذكره، ص:١٦.

٣٩ – يحيى بن عبد عبد المعطي: **الدرة الألفية، ألفية ابن معطي**، مرجع سبق ذكره ص:٣٤.

٤٠ – محمّد الأوّل عبد السّلام: مرجع سبق ذكره، ص:١٠.

٤١ – المرجع نفسه، ص:١٢.

٤٢ – المرجع نفسه، ص:٢١.

٤٣ – مالك بن منظر المهذري، **الممتع في شرح الأجروميّة**، مرجع سبق ذكره ، ص:١٦٤.